دراسات في المنهج

للشيخ سليمان الرحيلي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم يا معاشر الفضلاء إنني أحمد الله سبحانه وتعالى على هذا اللقاء، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل لنا هذه الأيام رافعة لنا في الدنيا والآخرة. ومما يسرنا عند لقائه سبحانه وتعالى.

معاشر الفضلاء، إن الله سبحانه وتعالى قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين. فأنزل عليه الكتاب المبين، وآتاه السنة مثل الكتاب، ليكون الكتاب والسنة سراجا يضيء للأمة الطريق إلى يوم القيامة.

وجعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة خير الأمم. ومن خيريتها أنها أمة الوسط. فهذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهذه الأمة جعلها الله وسطا: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

فكانت الوسطية كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها الحق كله، والخير كله والبر كله، والاعتدال كله. تعلم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فامتلأت قلوبهم بذلك وعملوا به وظهر الخير في الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واجتمع الناس على الخير، واستقاموا على طريق الله سبحانه وتعالى. ثم لما تقادم الزمان حدثت الفرقة، وحدث الاختلاف، وحدث الزيغ عن صراط الله المستقيم وعن وسطية هذه الأمة، فحدثت الفتن وحدثت الشرور.

ولكن مهما عظم الشر ومهما اسود الظلام فلا بد من سراج مضيء لا ينطفئ أبدا حتى يأتي أمر الله. ألا وهي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تحافظ على الحق في الأرض، فلا يغيب الحق عن الأرض أبدا. فمنذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم والحق لابد أن يكون موجودا على الأرض. ولا يمكن أن يمر زمان يكون الحق فيه منطمسا ذاهبا.

تلكم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أتباع السلف الصالح، الذين يأخذون الحق بسلسلة من نور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكل من ينتسب إلى الإسلام اليوم ويخالف منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم لا يمتد إسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينقطع. فكلها محدثة إلا من كان على منهج السلف رضوان الله عليهم، فإن إسناده يمتد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فوجود السلفية في الأرض أمر حتمي لازم، وهو من حفظ الله لدينه. ووجودها نعمة على أهل الأرض. ومن اصفاه الله من بين الملايين المملينة ليكون من أهل هذا المنهج يجب عليه أن يعلم عظم هذه النعمة، فالضالون كثر. فمن اصطفاه الله إلى معرفة هذا المنهج والسير على هذا المنهج فقد أنعم عليه بنعمة عظمى. كما يجب عليه أن يدرك الواجب عليه من جهتين:

الجهة الأولى: المحافظة على هذه السلفية، والعمل على بقائها قوية.

الجهة الثانية: العمل بالدعوة على وفق هذا المنهج السلفي، وعلى هذا السبيل المستقيم لإنقاذ الناس:

إما من الكفر الأصلي بدعوة غير المسلمين.

وإما من الشرك الذي يقع فيه بعض المسلمون وأكثهم لا يعلمون، ويظنون أن هذا يرضي الله، وهم يفعلون أعظم الظلم، ويشركون بالله الشرك الأكبر.

وإما لإنقاذ الناس من الشرك الأصغر وهو أقبح ذنب بعد الشرك الأكبر. والشرك الأصغر ضابطه:

1–كل ما سمي في القرآن والسنة شركا ودلت الأدلة على أنه لا يخرج من الملة.–هذا الضابط الأول–.

2–والضابط الثاني له هو: ما يكون ذريعة إلى الشرك الأكبر.

مثال الأول: الحلف بغير الله وهو كفر أصغر وشرك أصغر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه كفرا أو شركا، ولكن دلت الأدلة على أنه لا يخرج من الملة.

ومثال الثاني: الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله. هذا ذريعة للوقوع في الشرك الأكبر فهو شرك أصغر.

3– والضابط الثالث: اتخاذ شيء سببا على أنه سبب ولم يدل الدليل على أنه سبب من الأسباب المعنوية، أو لم يدل الدليل والتجارب على أنه سبب من الأسباب الحسية. مثل اتخاذ التمائم على أنها سبب لدفع العين، فهذا شرك أصغر، لأنه لم يدل الدليل على أن التمائم سبب يدفع به الشر وتدفع به العين.

هذه الأمور الثلاثة هي ضوابط الشرك الأصغر.

الشرك الأصغر خطير جدا، وهو يلي الشرك الأكبر في القبح، حتى أن بعض السلف يرون أنه لا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه، بل سيعذب يوم القيامة به. ولذلك يجب على الدعاة على منهج السلف أن يهتموا به.

وكذلك لإنقاذ الناس من البدع التي هي شر الذنوب بعد الشرك بنوعيه.

ثم لإنقاذ الناس من المعاصي ودعوتهم إلى الخيرات.

فالواجب على من أنعم الله عليه بالسلفية أن يقوم بالواجب عليه من هاتين الجهتين.

ونحن نرى الدعوة السلفية في كل مكان –بحمد الله– في هذا الزمان قد آتت ثمارا يانعة، وانتشر العلم، وانتشر التوحيد، وانتشر التمسك بالسنة، وكثرت أعداد الناس الذين يحبون السلفية فضلا عن الناس الذين يعتنقون السلفية.

اليوم – يا الإخوة– ندرك جيدا أن كثيرا من العوام يحبون السلفية، ويحبون السلفيين وإن لم يعتنقوا السلفية بعد. بمعنى أنهم أصبحوا مهيئين لاعتناق السلفية، فقط يحتاجون – بعد توفيق الله تعالى– إلى دعوة رشيدة.

أقول: هذه الدعوة السلفية موجودة وبقوة. إلا أنا لا حظنا في الفترة الأخيرة كسلا عند بعض إخواننا، وتأولات عند الآخرين. من أمور تضعف الجانب السلفي، وتضعف الدعوة السلفية. كمخالطة أهل البدع، أو التعاون معهم. فبعض الإخوة يدخل عليه التأويل أننا نتعاون مع أهل البدع في المصالح العامة، وفيما نرى أنه خير، ونجتنبهم فيما عدا ذلك.
وهذا مع كونه مخالفا لأصول السلفية –كما سيتضح إن شاء الله– فإنه يسبب أمرين ومرضين لابد منهما:
1– أما الأول: فهو ابتعاد القلب عن الإخوة السلفيين. فالذي يسير في هذا الطريق لابد أن يبدأ عنده بُعد عن إخوانه.
2–والأمر الثاني–وهو ضده–: وهو حب أهل البدع. والبدعة وأنها قد تحقق مصالح، وقد يوجد منها خير، وقد تثمر خيرا للأمة ونحو هذا. إلى غيرها من الأمور.
ونحن نعتقد أن من نعرف من إخواننا ويتأولون هذه التأويلات ونحوها، أنهم يريدون منهج السلف ويسيرون عليه، ولكن حصلت هزة، وحصل التأويلات. وهذه خطر على الصف السلفي.
فرأينا أنا بحاجة إلى التذكير والتعليم بالمنهج. فكانت هذه الدورة المتخصصة لأناس متخصصين من إخواننا في المنهج. وهي الدورة الأولى فرأينا أن نبدأ فيها بمهمات الباب. ولذلك– إن شاء الله عز وجل– ستكون الدروس في هذه الدورة في أربعة أمور كلية:
الأمر الأول: في منهج السلف. وهذا في أربعة مجالس –تقريبا إن شاء الله–.
والأمر الثاني: في فرق عصرية مخالفة وبيان خطورتها وهذا –ايضا– في أربعة مجالس –إن شاء الله–.
والأمر الثالث: في أصول السلف الصالح رضوان الله عليهم. وهذا مكمل للأول، ولابد من إدراكه وضبطه.
والأمر الرابع: في شخصيات شوهت الإسلام. شخصيات معاصرة بارزة يُلمع لها وتُلمَّع، وهي في حقيقتها قد شوهت الإسلام وأضرت بالإسلام. ونبين هذا –إن شاء الله عز وجل– بالأدلة والبيان من كلامهم. وهذا –أيضا– في أربعة مجالس.
وسيكون المنهج في التدريس:
أن المجلس تكون مدته ساعة ونصف. نتكلم –إن شاء الله– لمدة ساعة وعشر دقائق، ثم يبقى عشرون دقيقة للمداخلات والأسئلة في نفس الموضوع. من كان عنده تعقيب، من كان عنده مداخلة، من كان عنده سؤال في نفس الموضوع الذي نتكلم فيه. وهكذا في جميع المجالس لأن هذا أنفع، ويكون فيه –إن شاء الله– إجابات عن بعض الأمور التي نحتاج أن نجيب عنها. ويكون فيه إضافات وفوائد إن شاء الله عز وجل.
ولا شك – أيها الإخوة – أن هذا الأمر –كما ترون– من مهمات العلوم ومن مهمات الأمور. ينبغي أن نتعلمه وأن نُعلمه. وأن نتذكره وأن نذكر به في كل وقت حتى لا تختلط الأمور. فنسأل الله أن يعيننا عليه وأن يعيننا جميعا على الصبر.
ومثل هذه المجالس فيها أسباب الفلاح الأربعة. فأسباب الفلاح الكلية أربعة:
1–الإيمان. 2–والعمل الصالح.
3–والتواصي بالحق.
4–والتواصي بالصبر.

كما قال الله عز وجل: وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.

فمثل هذه المجالس فيها الإيمان من جهتين:

الجهة الأولى: أنها من الإيمان، فالعلم من الإيمان.

الجهة الثانية: أن الإيمان يزداد بها، لأن الإيمان يزداد بالطاعات، والعلم من أشرف الطاعات وأكملها وأجملها.

وهذه المجالس من العمل الصالح. وتعرفون أن جمعا من المحققين يرون أن رأس النوافل ما كان نافلة من العلم. لأن العلم قد يكون فرضا فهو في ضمن الفرائض، وقد يكون نافلة فرأس النوافل عند جمع من المحققين من أهل العلم هو العلم.

ومثل هذه المجالس فيها التواصي بالحق. فنحن نتواصى بمنهج السلف الذي هو الحق الذي يجب اتباعه ولزومه، ولا تجوز الحيدة عنه ولا الميل عنه يمينا ولا شمالا.

وفيها التواصي بالصبر. فنحن بحاجة إلى أن نصبر، ولا سيما في هذا الوقت الذي توجه فيه السهام رجاء أن يبرك الجمل الذي قام. فنحتاج أن يوصي بعضنا البعض بالصبر والثبات. ونحتاج إلى صبر في المدارسة، فالعلم ثقيل لا أثقل من العلم. هو ثقيل في ذاته ثقيل في أجره. هو ثقيل عليك أن تطلبه ثقيل عليك أن تصبر على طلبه، لكنه ثقيل في الميزان أجره عظيم. فنحتاج إلى نصبر عليه صبرا عظيما.

وأختم بوصية:

فأنتم معاشر طلاب العلم دعاة إلى الله. والدعاة إلى الله يحتاجون إلى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعاته إذا أرسلهم. وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الشعري ومعاذ بن جبل داعيين يعلمان الناس القرآن والدين، ووالين. وأوصاهما بالوصية التي كان إذا بعث أحدا أوصاه بها: يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا. والحديث في الصحيحين وهو عند مسلم بتمامه هكذا.

فأوصي نفسي وإخواني بالتيسير وعدم التعسير. والتيسير له صور أو كليات:

الكلية الأولى: التمسك بما في الكتاب والسنة. والله من تمسك بالكتاب والسنة فهو على اليسر وميسر، ولو قال من لا يعلم غير هذا. فإنه ما جاء في القرآن والسنة إلا يسر، وكيف لا يكون كذلك والله تعالى يقول: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ.

يعني يريد بكم شرعا اليسر ولا يريد بكم العسر. فكيف يتصور إنسان أن الله يقول لنا: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ. ويأتينا بشيء في الكتاب والسنة فيه عسر، لا والله ما كان.

الكلية الثانية: أن ما كان فيه سعة شرعا نميل فيه إلى اليسر. فما دمنا لسنا ملزمين فإن الأصل هو الميل إلى اليسر، لا سيما في التعامل مع الآخرين. قد يكون الإنسان في نفسه يختار طريقا، لكن في التعامل مع الآخرين يختار اليسر. فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما.

والكلية الثالثة: مراعاة العوارض التي تعرض: فلا بد من النظر إلى بساط الحال. في أي بلد أنت وفي أي مدينة أنت، وما قوتك وما ضعفك. فلا بد من مراعاة الأحوال. ولذلك في شرع ربنا مراعاة الأحوال. إذا سافر الإنسان خفف عنه، إذا مرض خفف عنه وهكذا.

يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا: فالبشارة هي الإخبار بالخير. ويفسرها قول النبي صلى الله عليه وسلم: وَلَا تُنَفِّرَا. فقدم للناس ما يرغبهم لا ما ينفرهم من غير مخالفة للشرع.

فالفرق بين السلفي وغيره هنا: أن السلفي الميزان عنده الشرع في هذا الباب، وغيره الميزان عنده هواه وما يريده الناس، فهو يبشر الناس بما يريدون. ولذلك سيأتينا من الجماعات من جعلت من أصولها: ألا يقال للناس ما لا يحبون. لأنهم ينظرون إلى الهوى.

أما عند السلفي فهو يبشر من غير مخالفة لشرع الله عز وجل. بيشرهم بما في كتاب الله وبما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبشرهم بالخيرات ولا ينفرهم.

وقد يكون هذا من ناحية المضمون وقد يكون من ناحية الأسلوب. فيخاطب الناس بما يبشرهم. حتى في التوحيد – عندما تدعو الناس إلى التوحيد– تستطيع أن تخاطبهم بما يبشرهم، ويجعل قلوبهم تتعلق بالتوحيد وهكذا.

وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا: الاختلاف شر؛ فينبغي أن نحرص على عدم الاختلاف. ومن أسباب السلامة من عدم الاختلاف التشاور والمطاوعة.

المطاوعة مفاعلة بين طرفين، يميل كل واحد منا إلى أخيه ونتطاوع، وإذا حدث أمر نتشاور فيه ونتطاوع.

والتطاوع يكون إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إلى الحق. فإذا كانت المسألة بين تمسك بحق أو تنازل عنه أو عن بعضه فإنا نتطاوع بالرجوع إلى الحق والتمسك بالحق.

والأمر الثاني: الرجوع إلى الأصلح. فإذا لم تكن المسألة حقا وباطلا، لكنها في طريقين فإنا نتطاوع إلى الصلح ونأخذ الأصلح ونترك الصالح.

الأمر الثالث: الرجوع إلى قول الأقدم أو الأكبر أو الكثر. يعني ليست المسألة حقا وباطلا، وما ظهر أن هذا صالح وهذا أصلح، واختلفنا في المسألة، نرجع إلى قول الأكبر منا والأقدم منا، فإن لهم حق الإجلال وهم أسبق منا، أو نرجع إلى قول الأكثر. فإن الجماعة دائما أقرب إلى الحق ما لم يوجد دليل لمن كان الأقل.

الشاهد –أيها الإخوة– أن يكون عندنا مبدأ التطاوع، حتى لا ينشق الصف. وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا: ليست هذه وصيتي هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يقوم بالدعوة، ولمن يقوم بالولاية، ولمن يقوم بأمر من أمور المسلمين.

وكنا نقرر ونكرر أمرا: وهو أنه يستحب للداعية أن يتألف الناس بالتنازل عن حقوقه لا عن دين الله. ما يتنازل عن دين الله ليتألف الناس. ما يأتي ويقول لا تتكلموا في التوحيد حتى نجمع قلوب الناس. هذا دين الله أنت لاتملكه، ولكن يتنازل عن حقه هو. عن بعض ماله عن بعض وقته، يبذل جاهه للناس من أجل تأليف القلوب. وهذا هو طريق السلفيين من صدر الإسلام: تأليف قلوب الناس ببذل ما عند الإنسان لا ببذل دين الله والتنازل عنه.

وهكذا التاريخ. وهذه الوقفة التي كانت من إخواننا السلفيين مع أهل البلاد، لما نزلت نازلة الزلازل هي من هذا الفقه. وقد كان لها أثر كبير في نفوس الناس، بل في نفوس المسؤولين. وبينت صدق ديانة السلفيين وأنهم مع الناس ويبذلون ما يبذلون لنفع الناس. فكان في ذلك خير ينبغي أن نغتنمه ونجتهد في الدعوة. تعليم الناس التوحيد والسنة لعل الله أن يجعلنا سببا في دخول الناس في هذا الطريق العظيم.

هذا كلام أقدمه بين يدي دروسنا –إن شاء الله عز وجل–. وأسأل الله أن يجعل فيه نفعا وأن يجعلنا ممن يجتمعون على الحق والهدى، ويجمعون الناس على الحق والهدى.

والله تعالى أعلى وأعلم. وصلى الله على نبينا وسلم.